الحركة العلمية في بلاد الشام الطبيب مهذب الدين الدخوار ودوره في تأسيس المدرسة الدخوارية- انموذجا

The Scientific Movement in Bilad al-Sham The Physician Muhadhdhib al-Din al-Dakhwar and His Role in Founding al-Dakhwariyya School – A Case Study

أ.د. وسيم عبود عطية
جامعة الكوفة/كلية التربية للبنات

أ. م. د. بهاء موسى حبيب
جامعة الكوفة-كلية التربية للبنات

المقدمة

بلغت الحركة العلمية والطبية في بلاد الشام شوطا كبيراً من التقدم والرقي في (القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي)، وهي مرحلة كانت من ازهى المراحل التي وصلت إليها العلوم الطبية عند المسلمين من خلال النضج الفكري والعلمي للطب الإسلامي، بما قدمه الطبيب المسلم من دراسات ومصنفات في هذا المجال، إضافة إلى الممارسة العلمية لمهنة الطب من خلال مراكز الطب المختلفة التي انتشرت بشكل واسع في هذا العصر.

اتبع الأطباء في هذا العصر – وخصوصاً الطبيب مهذب الدين الدخوار – في تعليم الطب على عدة طرق ووسائل متنوعة شملت الجانب النظري والجانب العلمي، فكانت طرق الملازمة لأستاذة الطب اكثر الطرق انتشاراً في تعليم الطب في بلاد الشام إلى جانب المجالس الطبية المتخصصة التي يعقدها الأطباء في المدارس والبيمارستانات حيث كانت فيها المناقشات والمباحثات في المسائل الطبية، ووصف الامراض، وطرق العلاج من خلال قراءة الكتب الطبية والنظر فيها.

تميزت الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام بظهور المدارس الطبية المتخصصة بتعليم الطب التي يمكن القول انها مما سبقت به بلاد الشام غيرها من البلدان في العالم الإسلامي، وهذا بدون ادنى شك أدى إلى تقدم الدراسات الطبية في بلاد الشام خاصة وتعليم الطب عند العرب المسلمين عموماً.

الكلمات المفتاحية: بلاد الشام-العلم-مهذب الدين-المدرسة-التعليم

Abstract:

The scientific and medical movement in Bilad al-Sham witnessed remarkable advancement and sophistication during the 6th and 7th centuries AH (12th and 13th centuries CE). This period represents one of the most flourishing eras in the history of Islamic medical sciences, marked by the intellectual and scientific maturity of Islamic medicine, as reflected in the studies and writings produced by Muslim physicians, as well as their practical engagement in the medical profession through various medical institutions that proliferated widely during this era.

Physicians of this period—most notably, Muhadhdhib al-Din al-Dakhwar—employed diverse methods in medical education that combined both theoretical and practical aspects. Among the most widespread approaches was the practice of apprenticeship with experienced medical scholars. In addition, specialized medical assemblies were held in schools and bimaristans (hospitals), where physicians conducted discussions and debates on medical issues, disease diagnosis, and treatment methods through reading and analyzing medical texts.

The scientific and medical movement in Bilad al-Sham was further distinguished by the emergence of specialized medical schools dedicated to the instruction of medicine—an achievement that arguably placed Bilad al-Sham at the forefront of medical education in the Islamic world. This,

without doubt, contributed significantly to the advancement of medical studies in the region in particular, and to the development of medical education among Arab Muslims in general.

Keywords: Bilad al-Sham, Science, Muhadhdhib al-Din, School, Education

المبحث الأول

السيرة الشخصية للطبيب مهذب الدين الدخوار

اولاً: -اسمه ونسبه :

هو مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم علي بن حامد الدمشقي)ابن ابي اصيبعه .p , 728;الصفدي, 2000م(18/233 .p ,شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق والديار المصرية)ابن شاكر الكتبي, د.ت ;2/315 .p ,ابن كثير, 2010م(15/180 .p ،، والمعروف باسم الدخوار[1]

ثانياً: -مولده واسرته:

كانت ولادته في سنة (565هـ/ 1169م) (الصفدي، 2000م، صفحة 233/18)، من اسرة عرفت بالطب والكحالة، فكان ابوه كحالاً مشهوراً يقدح العين إذا نزل فيها الماء (ابن ابي اصيبعه، صفحة 728)، وكذلك أخيه حامد بن علي الذي اشتغل بصناعة الكحل على احسن ما يكون (الذهبي، 1998م، صفحة 318)وخاصة ان هذه الصناعة في ذلك الوقت ارتبطت بالظروف الصحية والبيئية، إذ ان امراض العيون كانت متفشية في ذلك الوقت، وكان من الطبيعي ان يتجه الأطباء لمعالجة العين مما يصيبها نظراً لما في ذلك من منافع جمة، وهذا ما أتاح لأطباء العيون ايضاً احراز تقدم علمي في مجال معرفة امراض العين وتشخيصها وعلاجها وفق ما انتهت إليه معرفتهم العلمية (محمد علي، 1997، صفحة 21).

---

[1] ـ الدخوار: هي صفة فاعلية مكونة من جزئين هما: دخ – وتعني الشهاب او النجم الساطع في السماء، والمقطع (وار) أداة تشبيه مثل يشبه، ومن ثم فإن الكلمة تعني الشهابي، او هو مثل النجم الساطع في السماء (محمد علي، 1997، صفحة 4/181)

ثالثاً: -تعليمه واهم شيوخه:

اجتهد مهذب الدين في تحصيل صناعة الطب من خلال ملازمة مشايخ الطب في عصره ويقرأ عليهم الكتب المقررة للدراسة لديهم (ابن ابي اصيبعه، صفحة 728)، فألتحق بمجلس الشيخ رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة ابن الحسن الرحبي (ت 631 هـ/ 1233م) (ابن العماد، 1989م، صفحة 258/7) فدرس عليه، ثم لازمه بعد ذلك في مباشرة العلاج في البيمارستان الكبير[2] ، فكانت صحبته له بمثابة التدريب العملي له حتى ان ابن ابي اصيبعه يقول: (ولو اعتبر احد جمهور الأطباء بالشام لوجد إما ان يكون منهم من قرأ على الرحبي، او من قرأ على من قرأ عليه) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 673).

وكان من شيوخه في بلاد الشام ايضاً موفق الدين ابن المطران – الذي تميز بصناعة الطب، فقصد مجلسه كل محب للعلم وكان من بين اهم تلامذته مهذب الدين الدخوار فلازمه وتتلمذ عليه واشتغل بصناعة الطب عليه حتى ((تميز وتمهر)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 728) .

ثم قصد مجلس فخر الدين المارديني (ت 594هـ/ 1197م) حين قدم الى دمشق في سنة (579هـ/ 1183م) فلازمه واشتغل عليه مدة مقامه بدمشق وقرأ عليه كتاب القانون لإبن سينا وصححه معه (ابن ابي اصيبعه، صفحة 204) ، وظل مهذب الدين الدخوار بمعية فخر الدين المارديني حتى عام (589هـ/ 1193م). فلما عزم على الرحيل عز عليه ان يرحل استاذه وهو بعد لم ينهل من فيض علمه وغزير معرفته، ولم يكن قد اتم قراءة كتاب القانون عليه، فسأله البقاء معتقداً ان الامر يتعلق بتكاليف الحياة ومتطلباتها، وعرض عليه ان يدفع له نفقته، فقال له قوله المأثور: ((العلم لا يباع اصلاً، لأن من كان معي فإنني اشغله أين كنت)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 204) .

رابعاً: -طلابه وتلامذته:

---

[2] - انشأة نور الدين محمود عام (549هـ/ 1154م)، وكان يقع في الجانب الغربي من الجامع الكبير بدمشق (عيسى، 1939م، الصفحات 206-210)\

سعى عدد من طلبة العلم إلى معرفة فضل مهذب الدين وفهموا جوانب فكره ووقفوا على حقيقة رسالته من خلال تأثرهم بأفكاره وحرصهم على التواصل المعرفي به، وبهذا يشكلون حلقة من حلقات النمو المعرفي الذي يمكن من خلاله توظيف الأفكار من اجل عملية التواصل والاتصال المعرفي بين الأجيال العلمية، فكان من ابرزهم: أبو العباس ابن ابي الفضل اسعد بن حلوان (ت 652هـ/ 1254م) الذي كان احد طلابه النابهين سريع الخاطر فصيح اللسان وله قدرة على الجدل والمناظرة (ابن ابي اصيبعه، صفحة 758) ، إضافة إلى انه كان فاضلاً في العلوم الأدبية مقرضاً للشعر ((وله معرفة بالعود، حسن الخط)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 758).

ومنهم ايضاً عز الدين ابن السويدي (ت 690هـ / 1291م) فذكر عنه انه كان فاضلاً اديباً لاسيما في الطب، وله مشاركة جيدة في فنون (ابن تغرى بردى، 1984م، صفحة 143/1)، إضافة إلى انه عد ((من اجل الأطباء قدراً وافضلهم ذكراً، واعرف مداواة، والطف مداراة، وانجح علاجاً، وأوضح منهاجاً)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 759) ، وقد عمل السويدي في البيمارستان النوري الكبير، ولبراعته وقدرته عمل مدرسا بالمدرسة الدخوارية (ابن ابي اصيبعه، صفحة 759) .

ومن تلامذته الصاحب نجم الدين ابن اللبودي (ت670 هـ / 1271م) الذي التحق بمجلس الدخوار العلمي بدمشق فأشتغل بصناعة الطب حتى انه وصف بـ : ((اوحد في الصناعة الطبية، ندرة في العلوم الحكمية، مفرط الذكاء، فصيح اللفظ، شديد الحرص في العلوم)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 663).

اما اشهر تلامذة مهذب الدين الدخوار فهو الطبيب العربي ابن النفيس[3]، والذي تعلم في كنف المدرسة الدخوارية وكان من ابرز اعلامها وحفظ تعاليم استاذه (ابن فضل الله العمري، 2010م، صفحة 357/9)، الذي اوصاه ان يحول بيته ومكتبته – بعد مماته – إلى مدرسة

---

[3] ـ هو علاء الدين ابن ابي الحزم القرشي الدمشقي، ولد في القرش قرب دمشق عام (607هـ / 1210م)، درس الطب في مصر والشام، ثم تولى رئاسة البيمارستان المنصوري، توفي عام (687هـ/ 1288م) بالقاهرة. (ابن كثير، 2010م، صفحة 531/15) (بن تغرى بردى، 1992م، صفحة 377/7)

للطب، وتم ذلك فعلاً، فأنشئت المدرسة التي لقبت بالدخوارية، وظلت هذه المدرسة تعمل زمناً طويلاً، وقام بالتدريس فيها طائفة من مشاهير الأطباء (مراد،، 1989م، صفحة 29).

اما التلميذ الآخر فهو احمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بأبن ابي اصيبعة (ت 668 هـ / 1269م) (اليونيني، 1954م، صفحة 437/2) ، وكان ابوه وعمه طبيبان وكحالان مشهوران ببلاد الشام فأخذ عنهما في الطب والكحالة (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 636-650)، واخذ ايضاً عن مهذب الدين الدخوار فقرأ عليه ومارس المهنة معه وشاهد المرضى مع جملة الطلبة (ابن ابي اصيبعه، صفحة 732).

خامساً: -مؤلفاته:

صنف مهذب الدين الدخوار في صناعة الطب الكثير من المؤلفات والشروحات لعل من أهمها:

1) اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي.

2) اختصار كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الاصفهاني.

3) مقالة في الاستفراغ ألفها بدمشق في شهر (ربيع الأول 622هـ / 1225م).

4) كتاب الجنينة في الطب.

5) تعاليق ومسائل الطب وشكوك طبية ورد اجوبتها.

6) كتاب الرد على شرح ابن ابي صادق لمسائل حنين بن إسحاق.

7) مقالة يرد فيها على رسالة إلى الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 735-736) (محمد علي، 1997، صفحة 79).

8) كتاب شرح تقدمة المعرفة لأبقراط (الحازمي، 2006م، صفحة 417).

9) كتاب ما يقع في الادوية المفردة من التصحيف (الحازمي، 2006م، صفحة 417) .

سادساً: -العلم والمعرفة عند مهذب الدين الدخوار:

كان مهذب الدين يخصص وقته للنسخ والتحصيل والدرس والقراءة اولاً (ابن ابي اصيبعه، صفحة 732)، ثم يفرغ بعد ذلك لطلابه فيأذن لهم ((فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين وكان يقرأ كل واحد منهم درسه، ويبحث معه فيه، ويفهمه إياه بقدر طاقته ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضع يحتاج إلى فضل بحث او فيه اشكال يحتاج إلى تحرير)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 732) .

اما طريقته في الدرس النظري فكانت ذات طابع مميز لأنه كان يدقق في كل ما بين يديه، ويحاول بقدر الإمكان ان يخرج نصاً خالياً من الأخطاء (محمد علي، 1997، صفحة 48)، فكان ((لا يقرأ احداً إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقرؤه ذلك التلميذ، ينظر فيه ويقابل به، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط امر بأصلاحه)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 732) ، إضافة إلى هذا فإن الدخوار كان حريصاً على جودة النسخة ودقتها ((فكانت نسخة التي تقرأ عليه في غاية الصحة، وكان اكثرها بخطه وكان ابداً لا يفارقه إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغة...)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 732) ، وبعد ان يخلو مجلسه وتنفض الجماعة يعود هو إلى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس والمطالعة يسهر اكثر ليله في الاشتغال (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 732-733) .

إضافة إلى هذا فإن الدخوار كان حريصاً على اجادة الخط والكتابة واتقانهما ((فكان خطه منسوباً، وكتب كتباً كثيرة بخطه)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 728) ، إضافة إلى انه اهتم بنسخ الكتب فذكر عنه بأنه ((نسخ كتباً كثيرة بخطه المنسوب، اكثر من مائة مجلد في الطب)) (ابن شاكر الكتبي، د.ت، صفحة 316/2).

اما في البيمارستان فقد كان الطلاب يجتمعون حوله حين كان يتفقد المرضى فيعلمهم ويشرح لهم الحالة المرضية التي امامه عملياً، وقد اخذ عنه الطب عدد غير قليل من الأطباء، عدوا بعد ذلك من مشاهير أطباء بلاد الشام (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 602-636-671-676؛ محمد علي، 1997، صفحة 47).

وكان الدخوار طبيباً عالماً خبيراً بكل ما جاء في كتب الطب القديمة وكان من اشد المعجبين بكتب جالينوس، وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه منها، وكانت هذه الكتب تروق له كثيراً، فإذا سمع شيئاً من كلام جالينوس في ذكر الامراض ومداواتها والأصول الطبية يقول ((هذا هو الطب)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 731).

وحرصاً منه على درس العلوم الحكمية فقد توجه إلى سيف الدين الامدي[4] ولازمه ودرس عليه علم الكلام والمنطق وعلم الأوائل (ابن تغرى بردى، 1984م، صفحة 285/6)، فأتقن الدخوار هذه العلوم وحفظ ونسخ بعض كتب الامدي (محمد علي، 1997، صفحة 25)، ثم لازم أبا الفضل الإسرائيلي المنجم ودرس عليه الهيئة والنجوم ((واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج إليها في هذا الفن ما لم يكن عند غيره ومن الكتب شيئاً كثيراً جداً)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 773؛ محمد علي، 1997، صفحة 25).

سابعاً : –وظائفه:

عمل مهذب الدين بالبيمارستان النوري الكبير، وكان ان استدعاه الصاحب صفي الدين بن شكر – وزير الملك العادل ابي بكر بن أيوب، وطلب إليه ان يلتحق بخدمة العسكر مع الحكيم موفق الدين عبد العزيز في مقابل ثلاثين دينار ناصرية في الشهر، فرفض وطلب ان يكون راتبه مثل موفق الدين عبد العزيز الذي يتقاضى مائة دينار ورواتب مثلها، وقال للصاحب: ((انني اعرف منزلتي في العلم وما اخدم بدون مقررة)) وافترقا (ابن ابي اصيبعه، صفحة 729)، ولما مات موفق الدين عبد العزيز بعد شهر نتيجة قولنج عرض له، قال الملك العادل للوزير: ((كنت قد شكرت لنا حكيماً يقال له المهذب نزله على مقرر الموفق عبد العزيز)) ففعل الصاحب، وظل مهذب الدين في خدمة الملك العادل ولم تزل منزلته تسمو عنده، وتترقى احواله، حتى صار جليسه وانيسه وصاحب مشورته (ابن ابي اصيبعه، صفحة 729) .

واستطاع الدخوار معالجة الملك العادل لأكثر من مرة، وفي احدى المرات بينما كان الملك العادل بالشرق عام (610 هـ/ 1213م) مرض مرضاً صعباً فتولى علاجه إلى ان برئ مما كان به، فأطلق له الملك العادل نحو سبعة آلاف دينار مصرية، وارسل اليه أولاد الملك العادل الذهب والخلع والبغال بأطواق الذهب (ابن ابي اصيبعه، صفحة 730).

---

4 ـ هو سيف الدين ابي الحسن علي بن ابي علي بن محمد الامدي التغلبي، فقيه اصولي ولد في آمد من ديار بكر ونسب إليها عام (551هـ/ 1156م)، له كثير من المؤلفات منها: غاية المرام في علم الكلام، ابكار الأفكار في أصول الدين، توفي عام (631هـ/ 1233م) في مدينة دمشق (الصفدي، 2000م، الصفحات 21//225–230)

وكذا الحال ففي عام (612هـ/ 1215م) توجه الملك العادل إلى الديار المصرية واقام بالقاهرة، وفي هذا الوقت داهم الناس وباء عظيم فهلك خلق كثير، ومرض الملك الكامل ابن الملك العادل، ومرض كثير من خواصه فعالجه الدخوار بألطف علاج حتى برئ، فحصل له من الذهب والخلع والعطايا السنية شيء كثير ((وكان مبلغ ما وصل إليه من الذهب نحو اثني عشر الف دينار و اربع عشرة بغله بأطواق الذهب، والخلع الكثيرة من الثياب وغيرها)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 731).

وبعد ان تحقق للملك العادل حسن علاجه واجادته لصناعة الطب فولاه رياسة أطباء بلاد الشام ومصر وجعل له حق امتحان الأطباء والكحالين والاذن لمن كان يرتضيه منهم في هذه الصناعة ويكتب له إجازة بذلك (الصفدي، 2000م، صفحة 233/18؛ الحازمي، 2006م، صفحة 416).

ثامناً: –وفاته:

اصابت الشيخوخة وتقدم العمر نتيجة المكابدة والمعاناة مهذب الدين الدخوار فعرض له ثقل في لسانه واسترخاء (الصفدي، 2000م، صفحة 234/8)، وابتلى بستة امراض متعاكسة (ابن كثير، 2010م، صفحة 180/15)، حتى بقي لا يكاد يفهم كلامه إلا بعسر، ومع هذا ظل مداوماً على التدريس لطلبه مجلسه العلمي، فكان الطلاب امامه ((فأذا استعصى معنى يجيب عنه بأيسر لفظ يدل على كثير من المعاني،وفي أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه في (الصفدي، 2000م، صفحة 234/8) . لوح وتنظره الجماعة))

وقد اجتهد الدخوار في معالجة نفسه واستفراغ بدنه بعدة ادوية مسهلة، واستعمل المعاجين الحارة فعرضت له حمى قوية، فأضعفت قوته وزادت عليه (ابن شاكر الكتبي، د.ت، صفحة 316/2)، إلى ان توفي في (صفر عام 628هـ / 1230م) (1347م)، 1996م، الصفحات 316/22–317).

تاسعاً –محطات في حياة مهذب الدين الدخوار:

تعرض الدخوار إلى مواقف واحداث كثيرة في حياته بسبب شهرته الواسعة، فكان من الطبيعي ان يصبح موضع حسد من بعض الأشخاص ومنهم الشعراء فتعرض إلى الهجو من الشاعر ابن خروف[5] الذي قال فيه (الصفدي، 2000م، صفحة 234/18):

لا ترجون من الدخوار منفــعة فلو شقى علتيه: العجب والعرجا

طبيب ان رأى المطبوب طلعتهُ لا يرتجى صحة منها ولا فرجــا

إذا تأمل في دستوره سحـــــراً وقال: أين فلان؟ قيل: قد درجـا

فشربه دخلت مما يركـــــــبه جسم العليل وروح منه قد خرجا

وقال فيه ايضاً (الصفدي، 2000م، صفحة 234/18) :

ان الاعيرج حاز الطب اجمــعه استغفر الله، إلا العلم والعمــلا

وليس يجهل شيئاً من غوامضه إلا الدلائل والامراض والعلــلا

في حيله البرء قلت عنده حيــلُ بعد اجتهاد ويدري للردى حيلا

الروح يسكن جثمان العليل على علاته فإذا ما طبهُ رحــــــلا

وقال فيه ايضا (الصفدي، 2000م، صفحة 235/18) :

---

[5] ـ هو علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن ابن خروف الاندلسي النحوي، ولد في عام (525هـ/ 1130م)، كان فاضلاً في علم العربية، وكان يتنقل في البلاد، ولم يتزوج ولا تسرى، وقد تغير عقله في آخر عمره، فكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس، توفي في عام (606هـ/ 1209م). (ياقوت الحموي، 1993م، الصفحات 1969–1970؛ السيوطي، 1979م، الصفحات 230/2–204)

طبع المهذب طبـــــه سيفاً، وصال على المهج

باب السلامة لا يرى منه ولا بـــــاب الفـــرج

المبحث الثاني

تأسيس المدرسة الدخوارية عام (622هـ/ 1244م)

اولاً: -مدارس الطب المتخصصة:

تأخر زمن نشأة المدارس الخاصة بتدريس الطب في العالم الإسلامي إلى ما يقارب القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على الرغم من النشاط الكبير الذي شهدته مدن العالم الإسلامي في تدريس هذا العلم، ولعل ذلك يرجع إلى ان الطب يعد من العلوم التجريبية التي لابد ان تتوافق الدراسة النظرية فيها مع التطبيقية والتجريبية (المزيني، 1415هـ - 1995م، صفحة 360)، ولذا ظلت البيمارستانات[6] هي الأماكن الرئيسة لمهنة الطب والصيدلة من حيث التدريس والتطبيق (البابا، 2009م، صفحة 157).

ولكن مع مرور الزمن اوجدت أماكن أخرى لتدريس الطب عرفت بالمدارس الطبية -وهي مدارس متخصصة بمعنى انها أنشئت خصيصاً لتدريس هذا العلم، ولم يكن لها طابع اخر غير ذلك، وكان لهذه المدارس اثر كبير في تطور الدراسات الطبية حيث كان يشرف عليها ويدرس فيها رؤساء الطب المتميزون بالصناعة الطبية، وكان يطبق فيها نظام تعليمي دقيق لا يختلف كثيراً عن النظم التعليمية المطبقة في المدارس العامة (المزيني، 1415هـ - 1995م، صفحة 360).

ومما يذكر هنا ان هذه المدارس على الرغم من اعتمادها على الدراسات النظرية دون التطبيقية، وهي الدراسة التي تتطلبها الدراسات الطبية المعتمدة على النظر والتطبيق، فإن هذه

---

6 ـ كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض او عليل، و (ستان) بمعنى مكان او دار المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان، ويستعمل المغاربة لفظ بيمارستان بمعنى بيمارستان للأمراض العصبية فقط. (ابن ابي اصيبعه، صفحة 47؛ الزبيدي، 1888م، صفحة 4134/1) (فراج فضل، د.ت، صفحة 168)

المدارس كانت تنشأ غالباً قرب البيمارستانات المشهورة، واحياناً يتم الارتباط بين المدرسة والبيمارستان حيث يكون الأخير ميداناً لتطبيق الدراسات الطبية النظرية التي كانت تتم في تلك المدارس، وهذا يتضح من قيام احد البارعين بصناعة الطب بالإشراف على احدى هذه المدارس مع كونه ناظراً لأحدى البيمارستانات المجاورة (المزيني، 1415هـ - 1995م، الصفحات 360-361).

ثانياً: المدرسة الدخوارية في مدينه دمشق:

تنسب هذه المدرسة لمنشئها الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار عام(622هـ/ 1244م) في بيته الخاص بدمشق، واوقف عليها املاكاً كثيرة تدر عليها ما يمولها بما يحتاجه (ابن شداد، 1956م، صفحة 1/2 265) (بدوي، 1972م، صفحة 320)، وموقعها بالصاغة العتيقة (ابن شداد، 1956م، صفحة 1/2 265) قرب الزاوية الخضراء قبلي الجامع الاموي (النعيمي، 1948م، صفحة 127/2) (العلموي، 1947م، صفحة 136)[7]، ومكانها اليوم دور للسكنى ولا يعلم زمن دمارها (كرد علي، 1987م، صفحة 101/6).

وقد عمل في هذه المدرسة عدد من شيوخ الطب بداية من واقفها الطبيب مهذب الدين الدخوار حيث انه ((وقف داره... وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب، وأنه وقف لها ضياعاً وعدة أماكن يستغل ما ينصرف في مصالحها)) (ابن ابي اصيبعه، صفحة 733).

ثم درس بها من بعده الطبيب شرف الدين الرحبي[8] ، وكان الدخوار قد أوصى ان يكون الرحبي مدرساً للدخوارية من بعده لما توسمه لديه من سعة في العلم وفهم في مسائل الطب (المزيني، 1415هـ - 1995م، صفحة 361) .

---

[7] - ويذكر ابن ابي اصيبعه بأن موقعها شرقي سوق المناخليين (ابن ابي اصيبعه، صفحة 733)

[8] - هو أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي، كان مولده بدمشق في عام (583هـ/ 1187م)، كانت له عناية بصناعة الطب وتحقيق مباحثها الكلية والجزئية، خدم بالبيمارستان النوري بدمشق، فدرس به مدة، وتوفي عام (667هـ/ 1268م). (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 675-682) (ابن ابي اصيبعه) (ابن كثير، 2010م، صفحة 422/15)

ودرس بها اخوة الطبيب جمال الدين الرحبي[9] من بعده (ابن ابي اصيبعه، صفحة 682).

ثم تولى التدريس فيها من بعده بدر الدين محمد[10] بن قاضي بعلبك (ابن شداد، 1956م، صفحة 2/1 265) (النعيمي، 1948م، صفحة 127/2) .

ثم عماد الدين الدنيسري[11] المتوفى عام (ت686هـ / 1287م) (النعيمي، 1948م، صفحة 203/2).

ومن ثم تناوب في التدريس فيها جماعة من الأطباء الذين اشتهروا بصناعة الطب وكان لهم اثر كبير في التدريس بها منهم: الطبيب كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن مسلم (ت 687هـ/ 1288م) (الصفدي، 2000م، صفحة 203/3).

والطبيب أبو اسحق عز الدين بن السويدي (ت690هـ / 1291م)[12] ، والطبيب جمال الدين احمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي (ت694هـ/ 1294م) (ابن العماد، 1989م، صفحة 5/ 426)، والذي تولى رئاسة المدرسة الدخوارية لتقدمه في صناعة الطب على غيره (ابن كثير، 2010م، صفحة 589/15).

---

[9] ـ هو جمال الدين عثمان بن يوسف ابن حيدرة، ولد بدمشق واشتغل بصناعة الطب عن والده وغيره من علماء دمشق واتقنها، توفي بالقاهرة عام (658هـ/ 1260م) (أبو شامة، 1974م، صفحة 207)

[10] ـ هو الحكيم بدر الدين المظفر ابن القاضي مجد الدين عبد الرحمن بن إبراهيم قاضي بعلبك، نشأ بدمشق واشتغل بها في صناعة الطب، وخدم في بيمارستان الرقة، ولي الرئاسة في مدينة دمشق على جميع الأطباء والكحالين والجراحين سنة (637هـ/ 1239م)، واستمر في ذلك حتى وفاته في عام (670هـ/ 1271م) (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 751-755)

[11] ـ هو عماد الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي تقي الدين عباس بن احمد بن عبيد الربعي، كان مولده بمدينة دنيسر ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب وبرع فيها. (ابن شاكر الكتبي، د.ت، الصفحات 3/ 392-393)

[12] ـ هو إبراهيم بن محمد بن طرخان الانصاري الدمشقي، المعروف بالسويدي، حيث كان ابوه تاجراً من السويدا بحران، ولد بدمشق ونشأ بها واشتغل بصناعة الطب حتى اتقنها، ثم عمل بالبيمارستان النوري. (ابن ابي اصيبعه، الصفحات 759-761)

والطبيب امين الدين سليمان بن داوود (ت732هـ/ 1331م) (الذهبي، 1998م، صفحة 94/4)، والطبيب جمال الدين محمد شهاب الدين احمد الكحال (ابن كثير، 2010م، صفحة 247/16).

حاول الاطباء في المدرسة الدخوارية معالجة الامراض المنتشرة في تلك الفترة مثل امراض الحمى، فاستعمل الأطباء المعاجين الحادة (البابا، 2009م، صفحة 159) ، كما واستخدموا ملح الطعام في صناعة الطب واستخدام المداواة والتقصي لمعالجة الامراض في اسرع وقت (ابن ابي اصيبعه، صفحة 731؛ بدران، 1985م، الصفحات 252/1-253)، كما حاولوا علاج الامراض الحادة داخل المدرسة بعدة أنواع مختلفة من الادوية (الرازي، 2002م، صفحة 294/2) (البابا، 2009م، صفحة 159) .

الخاتمة

من خلال البحث توصلت الدراسة بعض الاستنتاجات أهمها:

1) ساهم العلماء العرب المسلمين في بلاد الشام برفد الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبية من خلال ظهور افاضل الأطباء واكابر الحكماء ولعل من ابرزهم الطبيب مهذب الدين الدخوار، وغيرهم من اعلام الطب عند المسلمين، وهذا مما يؤكد بأن هذه الفترة كانت تمثل وبدون نزاع العصر الذهبي للطب في بلاد الشام.

2) تمكن العرب من إقامة مؤسسات تعليمية ومدارس طبية متخصصة ومستقلة في تعليم الطب في بلاد الشام، في نظرة تكاملية بين مرافق التعليم يبرز التعليم النظري في المساجد ومن ثم التعليم العملي داخل البيمارستانات في ظل نظام تعليمي منطقي يقوم كل مرفق بدوره التعليمي والمهني.

3) اظهر البحث الصورة المشرقة لأبرز واهم المدارس الطبية في بلاد الشام الا وهي المدرسة الدخوارية، واهم الأطباء الذين تولوا رئاستها والاشراف عليها، والدور العلاجي والتعليمي الذي كانت تقوم به.

الهوامش والاحالات

المراجع

إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني. (1415هـ - 1995م). لمدارس الطبية المتخصصة في الحضارة الإسلامية. *مجلة جامعة محمد بن سعود الإسلامية العدد 13*.

أبو العباس موفق الدين احمد بن القاسم الخزرجي (ت 668هـ/1269م) ابن ابي اصيبعه. (بلا تاريخ). *عيون الانباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: د. نزار رض*. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

أبو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي (ت 874هـ/1469) ابن تغرى بردى. (1984م). *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه وضع حواشيه: د. محمد محمد امين*. القاهرة،: مطبعة دار الكتب.

أبو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي (ت 874هـ/1469) ابن تغرى بردى. (1984م). *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه وضع حواشيه: د. محمد محمد امين*. القاهرة: مطبعة دار الكتب.

أبو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي (ت 874هـ/1469) بن تغرى بردى. (1992م). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو بكر محمد بن زكريا (ت 313هـ/925م) الرازي. (2002م). *الحاوي في الطب، تحقيق: هيثم طعيمي*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

احمد بدوي. (1972م). *الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

احمد عيسى. (1939م). *تاريخ البيمارستانات في الإسلام*. دمشق: المطبعة الهاشمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م). (1996م). *سير اعلام النبلاء، حققه: د. بشار عواد معروف د. محي هلال السرحان ط11*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

بركات محمد مراد، (1989م). *ابن النفيس واتجاهات الطب العربي العلمية*. الجزائر.

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر محمد (ت 911هـ/1505م) السيوطي. (1979م). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط2*. القاهرة: دار الفكر.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) الذهبي. (1998م). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري*. بيروت: دار الكتاب العربي.

شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م) ياقوت الحموي. (1993م). *معجم الادباء تحقيق: د. احسان عباس*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت 665هـ/1266م) أبو شامة. (1974م). *تراجم رجال القرنين السادس والسابع. المعروف بالذيل على الروضتين*. بيروت: نشر: عزت العطار الحسيني ط2، دار الجيل.

شهاب الدين ابي الفلاح عبدالحي بن احمد الدمشقي ابن العماد. (1989م). *شذرات الذهب في اخبار من ذهب حققه وعلق عليه: محمود الارناؤوط*. دمشق: دار ابن كثير.

شهاب الدين احمد بن يحيى (ت 749هـ/1348م) ابن فضل الله العمري. (2010م). *مسالك الابصار في ممالك الامصار، حققه: كامل سلمان الجبوري*. بيروت: دار الكتب العلمية.

صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764هـ/1362م) الصفدي. (2000م). *الوافي بالوفيات تحقيق: احمد الارناؤوط – وتركي مصطفى*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

عبد الباسط بن موسى الدمشقي (ت 981هـ/1573م) العلموي. (1947م). *مختصر تنبيه الطالب وارشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس حقيق: صلاح الدين المنجد*. دمشق: مطبعة الترقي.

عبد القادر بدران. (1985م). *منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش*. بيروت: المكتب الاسلامي.

عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 927هـ/1521م) النعيمي. (1948م). *الدارس في تاريخ المدارس*. دمشق: جعفر الحسيني ، مطبعة الترقي.

عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684ه/1285م) ابن شداد. (1956م). *الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة*. بيروت: سامي الدهان، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية).

عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684ه/1285م) ابن شداد. (1956م). *الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة*. بيروت: شر وتحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

عزالدين فراج فضل. (د.ت). *علماء المسلمين على الحضارة الاوربية*. القاهرة: دار الفكر العربي.

عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774هـ/1372م) ابن كثير. (2010م). *البداية والنهاية في التاريخ*. دمشق: ط2، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد (ت 726هـ/1326م) اليونيني. (1954م). *ذيل مرآة الزمان*. يدر آباد الدكن – الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

ماهر عبد القادر محمد علي. (1997). *الطب العربي. رؤية ابستمولوجية*. بيروت: دار النهضة العربية.

محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي. (1888م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. القاهرة: المطبعة الخيرية.

محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن (ت 764هـ/1362م) ابن شاكر الكتبي. (د.ت). *فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: د. احسان عباس*. بيروت: دار صادر.

محمد كرد علي. (1987م). *خطط الشام ط3*. دمشق: مكتبة النوري.

مؤمن انيس عبدالله البابا. (2009م). *البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية*. الجامعة الإسلامية – غزة – كلية الآداب،: رسالة ماجستير غير منشورة.

ناصر بن محم دعلي الحازمي. (2006م). *الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية*. ام القرى: أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.